الانتكاس

(أسبابه – علاجه – وسائل الثبات)

(الجزء الثاني)

إن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

_قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102)﴾[آل عمران]

_قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)﴾[النساء]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾[الأحزاب] وبعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

_ما زال حديثنا متواصل حول مسألة الانتكاس، وكنَّا في اللقاء السابق قد تكلمنا عن الانتكاس وأسبابه وذكرنا ثلاثة أسباب،

1- عدم تحقيق العبودية أو ضعف تحقيق العبودية بركنيها (الحب - الخوف).

2- مخالفة أمر النبي ﷺ سواء في الظاهر أو الباطن، بشهوةٍ أو بشبهة.

- **فالمخالفة بالشهوة تكون:**

- مثال: لقد حرَّم الله عز وجل الربا وكذا النبي ﷺ وبالتالي فإن أموال البنوك حرام فيقول أحدهم أنه سأل عالم فقال أن هناك ما يسمى بالبنوك الإسلامية وبالتالي يمكن التعامل معها وذلك حتى يُسوغ لنفسه مُسوغًا للخروج عن الحكم (رخصة باطلة).

- مثال آخر: المرأة في الشرع أُمرت أن لا تُسافر من غير محرم فتستهين الأخت وتأتي لتقول لقد سألت وقيل لي أنه يمكن السفر من غير محرم إذا توافرت الصحبة الآمنة (فتأخذ رخصة بالباطل)

- مثال ثالث: أمر النبي ﷺ المرأة بعدم النمص، فماذا تفعل؟ تقول أنها سألت شيخًا وقال لها أن المسألة فيها أقوال للعلماء فتجد لنفسها رخصة بغير حق، كل هذه صور للشهوات التي خالف فيها أصحابها أوامر النبي ﷺ، هؤلاء نظروا للدنيا بعين الشهوة فلم يلتزموا ولم ينكفوا عن المعاصي.

– وقد تكون المخالفة بالشبهات:

مثال: فيكون الشخص مقيم على بدعة فإذا ما عُرض عليه الحق والأدلة عليه من قول الله وقول رسوله ﷺ وأقوال العلماء فإذا به يرُد كل هذه الأقوال ويتبع هواه ولا ترُدَه الأدلة عن هذا الإتباع.

3- المَنَّ:

فإذا ما رُزِقَ الإنسان بطاعة فعليه أن لا يمُنَّ بعمله لأنه يعلم أن كل شيء يرجع إلى فضل الله عليه كما أن التائب يحتاج إلى ذُل وانكسار على الدوام وليس إلى المَنَّ(كلما تذكر معصيته وإعراضه عن الله وأنه سبحانه قد أخرجه من الظلمات إلى النور).

الآن نُكمل باقي الأسباب ثم نتحدث عن طرق العلاج ثم يلي ذلك الحديث عن وسائل الثبات.

4- الخضوع للأهل والصحبة (المجتمع الذي يُحيط به).

وهذا أيضًا من الأسباب المنتشرة بين الناس، فالكثير من الناس يكون السبب المُؤدي إلى انتكاسهم هو المجتمع المُحيط بهم(الناس)

_فقد يكون الأخ على خير ولديه استعداد حقيقي لأن يخطو خطوات على طريق الحق إلا أن مَن حوله يكونون سببًا في انتكاسه(الأهل)

_فالأهل أو الأصحاب يُحيطون به وهو مُتعلّقٌ بهم ولا يريد البُعد عنهم ولكنهم على العكس من اتجاهه تمامًا فيظل يتقدم خطوات ويتراجع أُخرى

فيكون لا إلى هذا ولا إلى ذاك(ويدخل هنا في النفاق) فيجلس بين أهله أو أصحابه فيُجاريهم على ما هم فيه من مخالفات وإذا ما ذهب لحضور مجالس العلم فإنه يسمع ويستجيب ويستقيم على الحق، فإذا ما عاد مرة أُخرى إلى الأهل عارضوه فيما يدعوهم إليه من الخير وجادلوه فيما يقول حتى يصلوا إلى درجة التأثير عليه ومن ثمَّ يتراجع هو عن ما كان يقول، وهكذا.

_مسألة تأثير الأهل والأصحاب غاية في الأهمية، ولذلك فلا يستهين أحد بها،

وعليه فلا ينبغي لأحد أن يترك غيره ليضغط عليه لأنه لن ينفعه في الدنيا قبل الآخرة، ألم يقل الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14)﴾[التغابن]

إن الرب سبحانه وتعالى يُحذِّر من الأزواج والأولاد فكيف بمن هم دونهم، فليس أقرب للشخص من زوجه وأولاده فالمُفترض أن الإنسان يتفانى في خدمة هؤلاء وبالرغم من ذلك قد يكون منهم أعداء له،

- ولكن كيف يكونوا أعداء؟

_الولد: بأن يظل يؤثر على الوالدين فيطلب من أحدهما أو كلاهما أشياء ليست في مقدورهما إلى أن يقعوا في المحرمات كي يلبُّون له احتياجاته،

وهنا يُصبح عدو لأنه منع الوالد أو الوالدة من الخير.

فكم من أب قَبِلَ المال الحرام (رشوة_وغيره) بضغط الأبناء، وكم من أم خلعت نقابها أو حجابها لأن الأبناء لا يرضون عن هذا الشكل.

فإذا أتينا إلى الثقة في الله وفي موعوده وفي فهم القرآن وتدبره لوجدنا أن الله عز وجل يقول أن من الأبناء مَن يكون عدوًا لوالديه فمتى يكون عدوًا؟

يكون عدوًا إذا حال بين الوالدين وبين الوصول (إذا منعهما من أداء الطاعة، إذا يسَّر عليهما أو دفعهما دفعًا إلى المعصية وبالتالي فلابد أن يحذروهم).

_إذن على الآباء أن يُتابعون أبنائهم فإذا وجدوهم من هذا الصنف فعليهم أن يحذروهم، فالرب سبحانه هو الذي حذَّر من هذا الصنف الذي يقود والديه إلى جهنم

_كذا الزوج أو الزوجة: منهم مَن يكون مُعِين على المعصية ومنهم مَن يكون معين على الطاعة، فإذا كان أحد الزوجين معين للآخر على المعاصي فعلى هذا الآخر أن يحذره فيكون السائد بينهما هو حُسن المعاشرة من غير معصية الله سبحانه .

_ومن الأهل والأصحاب مَن يكون كذلك، فكم من إنسانٍ ضل والسبب في ذلك يعود إلى الأهل،

_مَن يخضع لهؤلاء وهؤلاء وفي النهاية قام بتقديم حبهم على حب الله (حب

الأشياء)فلم يُحقق العبودية فحدث له الانتكاس، ولو حقق العبودية لاكتمل الحب واكتمل الخوف، ولو اكتمل الخوف لكف صاحبه عن المعاصي فيزجره ويمنعه، ولو اكتمل الحب لجعل صاحبه يُقبل على الطاعة.

- هناك إشكالية:

تُواجه النساء: أن هناك من النساء مَن تكون صاحبة شخصية ضعيفة فتتلاعب بها الكلمات (تكون إمَّعة) وهذا يعني أنها تتكيف مع مَن تجلس معه فإذا جلست مع أهل الدنيا سارت من أبنائها وإن جلست مع أهل الدين والآخرة سارت خلفهم، هؤلاء ينبغي أن يقوين شخصياتهن بما عرفنه من الحق على يد أصحاب الدين، فإما أن يخضع لها مَن حولها فيما تقوله من الحق وإما أن تبتعد عنهم.

ولنا فيما ورد إلينا من قصص عن حياة الصحابة عِبر،

– لقد كان الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص من الأشخاص الذين يُبرُّون أبائهم برًا شديدًا فكان يُحب أمه وتُحبه أمه بشدة فَعُرِفَ بذلك واشْتُهِر به (كان البر في الجاهلية أضعاف أضعاف ما هو موجود بين المسلمين الآن) ولذلك قال سبحانه في كتابه العزيز بيانًا لمنزلة الوالدين عند هؤلاء:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (200)﴾[البقرة]

- **قال سعد رضي الله عنه:** لما أسلمت فلم يسبقني إلا أبو بكر و علي وزيد و خديجة رضي الله عنهم أجمعين.

يقول سعد –رضي الله عنه-: (وما سمعت أمي بخبر إسلامي حتى ثارت ثائرتها وكنت فتى بارا بها محبا لها فأقبلت علي تقول: "يا سعد...ما هذا الدين الذي اعتنقته فصرفك عن دين أمك و أبيك؟ والله لتدعن دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فيتفطر فؤادك حزنا علي ويأكلك الندم على فعلتك التي فعلت وتعيرك الناس أبد الدهر".

فقلت: "لا تفعلي يا أماه فأنا لا أدع ديني لأي شيء".

إلا أن أمه اجتنبت الطعام ومكثت أياما على ذلك فهزل جسمها وخارت قواها....فلما رآها سعد قال لها: "يا أماه إني على شديد حبي لك لأشد حبا لله ولرسوله و والله لو كان لك ألف نفس فخرجت منك نفسا بعد نفس ما تركت ديني هذا بشيء"، فلما رأت الجد أذعنت للأمر وأكلت وشربت على كره منها.

ونزل قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (15)﴾ [لقمان].

- عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أُنْزِلَتْ فِي أَبِي أَرْبَعُ آيَاتٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: أَصَبْتُ سَيْفًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَفِّلْنِيهِ، قَالَ: " ضَعْهُ ". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَفِّلْنِيهِ، أُجْعَلُ كَمَنْ لَا غَنَاءَ لَهُ؟ قَالَ: "ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ " فَنَزَلَتْ:

"يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالُ " – قَالَ: وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ كَذَلِكَ ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ﴾ وَقَالَتْ أُمِّي: أَلَيْسَ اللهُ يَأْمُرُكَ بِصِلَةِ الرَّحِمِ وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ؟ وَاللهِ لَا آكُلُ طَعَامًا، وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا، حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ. فَكَانَتْ لَا تَأْكُلُ حَتَّى يَشْجُرُوا فَمَهَا بِعَصًا، فَيَصُبُّوا فِيهِ الشَّرَابَ – قَالَ شُعْبَةُ: وَأُرَاهُ قَالَ: وَالطَّعَامَ – فَأُنْزِلَتْ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ وَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: 14-15] مسند أحمد (1567)،

لقد كان حُب سعد لأمه حُبًا شديدًا يفوق أي حب، وبالرغم من ذلك تُرى ماذا حدث عندما قالت وفعلت ما فعلته معه، دخل عليها سعد وهي على هذا الحال فقد خارقت قواها وهزل جسدها نتيجة امتناعها عن الطعام والشراب فلم يرجعه ذلك ولم يجعله يلين ولو بكلمة ولكنه أراد أن يجعلها تفهم أنه لن يُثنيه فعلها عن السبيل الذي اختاره لنفسه فقال ما ورد في الحديث السابق.

فأي قلوبٍ تلك، إنها بلغت منتهى القوة في التمسك بدين الله.

قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12)﴾[مريم]

الله سبحانه يُحب العبد القوي، صاحب القوة في دينه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» أخرجه مسلم(2664)

الشاهد من القصة: أن سعد لم يكن يتكلم لمجرد التهديد ولكنه بالفعل وصل بحبه لله ورسوله إلى الدرجة التي لا تراجع بعدها، فليس هناك سببًا يجعل الإنسان يتهاون في دين الله عز وجل ويتراجع عنه ولو كان السبب (حب الأبناء_حب الزوج أو الزوجة_حب الأهل_حب المال) فهؤلاء لن ينفعوا صاحبهم في دنياه ولا في أُخرته،

_لقد مُلأت قلوب هؤلاء بحب الله سبحانه وثبتت على الحق فعلًا فما ضعفوا وما استكانوا كما وصفهم الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146)﴾[آل عمران]

كان حالهم هو القوة في الدين والعمل في يقين، فيعمل أحدهم العمل وهو يعلم أن هذا العمل يُقربه من الله فلا يتركه، فكان إذا أتاه الأمر من الله فلا يُجادل ولا يماري في الأمر بل كان الحال هو سمعنا وأطعنا، فإذا رآه خصمه على هذا الحال(القوة في الحق) فإنه لا يُحاول أن يدخل عليه من قِبَل المجادلة أو زعزعة الثقة في هذا الحق لأن قوة الأول زجرته ومنعت هذا المجادل من فتح باب النقاش لأنه يعلم أن القضية محسومة ولا مجال للجدال فيها، والعكس صحيح فإذا وجد المجادل من الطرف القائم على الحق بعض اللين فإنه يُحاول معه مرات ومرات لأن معه شيطان يدفعه كي يُوقع بهذا القائم على الحق، هذا اللين لم يعرفه الصحابة.

- قصة سلمان الفارسي – رضي الله عنه-:

_عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، واَجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً، قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟

قَالُوا: بِالشَّامِ قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللَّهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا، قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ

الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الْأَسْقُفُ فِي الْكَنِيسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟، قَالَ: قُلْتُ أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ، قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ، أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ.

فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغَيَّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ" **مسند أحمد (23737)**

- الشاهد: كيف كان جَلَدْ هؤلاء وما هو مدى تحملهم في سبيل الوصول إلى الحق فقد ترك كل ما كان فيه من رغد العيش وعلو المكانة التي كانت له فقد كان سيدًا في قومه ولكنه استغنى عن كل ذلك لأنه يبحث عن الحق وتنقل من راهب إلى آخر ومن أرض لأُخرى ووقع في رق العبودية وبالرغم من ذلك صبر وتحمل.

- ملحوظة:

ورد في القصة (قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ).

- المقصود: أن سلمان لم يتراجع عن قصده في طلب الحق عندما قابله هذا الكاهن (رجل سوء) كما يفعل الكثيرين اليوم عندما يرون سلوكًا سيئًا يصدر من داعي أو شيخ أو حتى عالم فيعرضون بالكلية عن طريق الحق، ويحتج المُعرِض بأنه رأى من رجل الدين فعل لا يليق والمفترض أن هؤلاء هم مَن يُمثلون الدين وهم الواجهة التي ينظر إليها الناس ويقتدون بها

_هذا الإنسان الذي أعرض واحتج بسلوك الداعي ألم يسأل نفسه ومالي أنا وما فعله الشيخ، لقد قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)﴾ [الأحزاب]

ولم يقل لقد كان لكم في هذا الشيخ أو الداعي أو العالم أسوة حسنة، لقد حصر الله عز وجل الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ والواجب هو اتباعه فيما بلغ عن ربه سبحانه،

- والصحيح أن الإنسان إذا رأي أحد من أهل الطاعة أو الدين ليس على خير أو أنه سقط في ذلة صغيرة فعليه أن يُدرك أن الكثير من الدُعاة الموجودين على الساحة لا يتعدى تصنيفهم أنهم طلاب علم منحهم الله عز وجل شيء من(اللباقة_بعض القبول)إلى جانب قراءته للقليل من الكتب) فخرج الواحد منهم على الناس لإلقاء الدروس، وهذا هو أخطر شيء يفعله الداعية.

هذا الداعية (الذي ليس له إلا هذه الأدوات) لديه شيء من العلم ولكن ليس لديه قلب، وهذا يعني أنه سيُردد ما سمعه من شيخه أو ما قرأه في الكتب القليلة التي قرأها ولكن أين القلب الذي يتحمَّل رؤية الجمع ولا يحدُث فيه اختلاج، القلب الذي يتقي الله سبحانه، أين وأين؟ هو يحتاج إلى أن يتأدَّب بآداب طالب العلم من أجل أن يتصدر، ولهذا قال العلماء أن التصدر قبل التأهل هو من أخطر الأشياء على الدعوة، لأن طالب العلم الذي يتصدر قبل أن يتأهل يقع في طامات كما انه يصُد عن سبيل الله سبحانه.

هذه هي حقيقة الكثير من الدُعاة الموجودين الآن وهؤلاء ينظر إليهم الناس نظرة تعظيم وإجلال وتقدير ويعتبرونهم القدوة فإذا ما أخطأ أحدهم أي خطأ فإن البعض يُفتن، والواجب هو الرحمة بهؤلاء الدُعاة المُبتدئين لأنهم أرادوا إيصال الخير إلى الغير فتعجَّلوا في تصدرهم لذلك.

– **الشاهد:** هو الفرق بين ما فعله سلمان من المضي في طريقه لطلب الحق رغم مُقابلته لهذا الكاهن(رجل الدين السيئ)وعدم تراجعه وبين ما يفعله الكثير منَّا الآن من الإعراض عن الدين بالكلية إذا رأى الداعي يقع في خطأ ما،

– وحقيقة المسألة أنها عبارة عن: خلل في القلوب والإيمان، ونفوس لا تُريد الإقبال فتبحث عن رخصة تُبيح لها الإعراض.

فمع التعب والبذل والعطاء والاجتهاد لم يتراجع ولم يضعُف.

بئس العبد مَن باع دينه في مقابل إصلاح دنيا غيره

وكم من امرأة وكم من رجل باع دينه بإصلاح دنيا غيره، كم من امرأة تفانت في خدمة أبنائها وأضاعت دينها من أجلهم، وكم من رجل بذل كل ما بوسعه لإرضاء الزوجة أو الأولاد.

علاج الانتكاس

اعلموا أن الدفع أيسر من الرفع، فدفع الشيء القادم لمهاجمة الشخص أهون عليه من الشيء الذي هاجمه بالفعل وتلبَّس به وهو لا يعلمه، _إذن يجب البحث عن أسباب الانتكاس لأنه قد يكون البعض منَّا منتكس وهو لا يدري(انتكاس في الباطن)، فقد يكون (مضيع للصلاة_يغتاب_ لديه حب الظهور_العجب الرياء _وهكذا) هو منتكس ولكنه لا يدري وبالعلم يتعرَّف على ما عنده من أسباب الانتكاس.

أولًا: معالجة الخلل في المحبة والخوف.

فكيف يُعالج الإنسان المسلم الخلل الذي يعتريه في المحبة والخوف؟ لقد أيقن الجميع بعد سماع شروط المحبة أنه غير مُحب لله على الوجه المرجو(القسم الثاني)،

فكيف نُحب الله بطريقة صحيحة؟ هناك أسباب كثيرة جدًا للمحبة أعلاها:

أ- اتباع النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)﴾[آل عمران]

_فليس الشأن أن يُحب الشخص ربه بل الشأن أن يُحبُهُ ربه، وهذه الجزئية التي نُريد الوصول إليها، فالواحد منَّا يمكن أن يُحب الله (حب ضعيف_حب قوي) ولكن القضية هي محبة الله للعبد هذا هو المقصود

_وعند الحديث عن الاتباع فإن هذا يعني شدة الحرص على السنة، وليس المقصود بالسنة هو صيام (الاثنين_الخميس) أو أذكار الصباح والمساء فهي من المستحبات فمن فعلها فهو خيرٌ له ومَن لم يفعلها ضعُف إيمانه ولكن لن يصل به الأمر إلى الانتكاس،

_أما المقصود باتباع السنة فهو: فيما يخُص الواجبات، والانتكاس يأتي نتيجة مخالفة الواجبات لا مخالفة المستحبات، فالسنة منها الواجب ومنها المُستحب

_المستحبات(النوافل من صيام وصلاة_أذكار الصباح والمساء_السواك) مَن يترك هذه الأمور غير آثم لكن إيمانه سيقل وهو على خطر ولكن ليس فيه انتكاس.

_فالانتكاس يأتي من مخالفة الأمر الواجب، فقد أمر النبي ﷺ بأوامر وعلى المسلمين الاتباع.

- مثال:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ لَيْلَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا رَجُلٌ ذُو حُرْمَةٍ مِنْهَا»أخرجه مسلم(1339)

هنا لا يجوز لامرأة أن تروغ روغان الثعالب وتبحث عمن يُفتيها بجواز السفر من غير محرم.

- مثال:

عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ» قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ فَقَالَ: "لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7] " فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الْآنَ، قَالَ: «اذْهَبِي فَانْظُرِي»، قَالَ: فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا» أخرجه مسلم(2125).

وبالتالي فلا ينبغي البحث عن شيخ يأتيها برخصة تُبيح لها النمص.

- مثال:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَى الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ» ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا؟ فَقَالَ: " قَالَ لِي جِبْرِيلُ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: آمِينَ.

ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ. ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ".

الأدب المفرد مخرجا(646) [قال الشيخ الألباني] : حسن صحيح.

الأمر واضح ببر الوالدين فلا جدال ولا نقاش لرده.

- **الشاهد:** أنه يجب في كل أمر الاتباع حتى يتحقق الحب (فيكون كمال الحب و كمال الذل).

ب- قراءة القرآن.

فمن أحب أحدًا أحب كلامه وكلام ربنا القرآن، فلابد من التمسُّك بالقرآن وقراءته قراءة صحيحة بترتيل وتُؤدة وفهم وتدبر لأن كل هذا يُعد سببًا في زيادة حب العبد لربه

3- المقاومة.

فالمقاومة ينتُج عنها القوة، وذلك يتحقق بالتصميم على السير على الطريق المستقيم حتى لو كان مُنفردًا على هذا الطريق، فيكون في اتجاه والمجتمع والأهل وحتى أقرب الناس إليه في اتجاه آخر فلا يرده ذلك عن طريق الحق،

_وسينتج عن مخالفة الضلال والثبات والقوة على تلك المخالفة قوة إيمان للشخص، وكلما زادت هذه القوة كلما زاد حب الله في القلب وكلما أحبه الله، وكلما زاد في مقاومة المعاصي والفتن كلما أحبه الله درجة بعد درجة،

_فتكون مقاومة (الهوى_الناس_كل شيء) كالسير عكس التيار،

_اعلموا أن السير عكس التيار صعب ولكنه يشد العزم،

_ فالإنسان إذا جاهد نفسه وقت أن تُعرض عليه بعض المُغريات يجد في هذا الجهاد ألم شديد لحظة عرض الفتنة ولكن بعد ذلك يشعر كأن شيئًا لم يكن، أي أن الأمر يبدأ بالمقاومة والشدة وينتهي بنزول السكينة والطمأنينة.

- أما مُعالجة الخلل الذي يعتري الخوف فإنه يكون عن طريق:

استحضار الخوف ولكن كيف للعبد أن يستحضر الخوف؟

أ- يكون ذلك عن طريق السماع والقراءة في أسماء الله الحسنى التي تحمل معاني الجمال (الرحمن_الودود_الكريم_الواسع_العفو) وفي الأسماء التي تحمل معنى الجلال (الجبار_المتكبر_القهار_العلي الأعلى).

- علينا أن ننتبه:

لأن التعاطف عند الجنس البشري جعلهم يستبعدون العقوبة، فهم غير متصورين لإمكانية أن الملك يُعَذِب، ومَن يستبعد العذاب يكون مكذب للقرآن، ولقد وقع على البشر أنواع من العذاب في الدنيا(أمراض_أوجاع _أسقام_ابتلاءات) فلماذا نستبعد عذاب الآخرة؟

ب- وعلينا أيضًا أن نقرأ الآيات التي تنص على عذاب الله الذي أوقعه بالأمم السابقة وكيف كان أخذه أليم شديد بهؤلاء، وأعظم نعمة يمُن بها الله سبحانه على عبد هي : أن يملأ قلبه بالخوف منه والخشية

قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)﴾[فاطر].

_فمَن منحه الله العلم فهو حبيبه وأكمل نعمته عليه بأن رزقه الخوف والخشية،

_ومن العقوبة أن يُنزع الخوف من القلب لأن مَن لا يخاف الله يتجرأ على معصيته ولا يُقبل على طاعته.

– ومَن لا يخاف الله للدرجة التي جعلته متجرأ على المعاصي فعليه أن يعود إلى كتاب الله ويتدبر الآيات التي ورد فيها ذكر العذاب ويتوقف عند هذه الآيات ويُكررها مرات ومرات وخاصة الأجزاء الأخيرة حيث الحديث عن النار وعذاب النار.

ثانيًا: الحرص على اتباع النبي ﷺ.

فيكون الحرص على اتباع النبي ﷺ في الظاهر والباطن لأن هذا(مخالفة أمر النبي) هو السبب الثاني المؤدي إلى الانتكاس، فإذا فعل أمر نفعله وإذا لم يفعله نتوقف، ويكون هذا هو حالنا مع كل صغيرة وكبيرة تُنقل عنه ﷺ،

يقول سفيان الثوري: إن استطاعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل.

ثالثًا: البُعد عن المَنّ.

وعلاج ذلك يكون بمعرفة الإنسان لنعم الله عليه وأنه ليس له حول ولا قوة، فيتبرأ من حوله وقوته وإرادته وينسب كل هذه النعم التي هو فيها إلى صاحب الفضل سبحانه وحده.

رابعًا: عدم الخضوع أو الانسياق خلف الأهل.

ويكون تفادي الانسياق خلف هؤلاء بمعرفة أنهم لن ينفعوه عاجلًا أو آجلًا، وبمعرفة أنهم أعداء للإنسان بنص القرآن (الزوج_الزوجة_الأولاد) إذًا فمن هو دون الأزواج والأولاد أولى بتلك العداوة، واستحضار آيات الله.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37)﴾ [عبس]

ومَن ترك شيئًا من أجل الله رزقه الله وعوضه خيرًا منه، فسوف يرزقه الله عز وجل صحبة صالحة تُعينه على أمره لأن الله لن يترك عبده إذا ترك شيئًا ابتغاء مرضاته.

- فما هي وسائل الثبات؟

أولها: الدعاء.

فمَن لديه الخير والحق والأعمال صالحة وسمع ما سبق فوجد أنه ليس لديه أي شيء من الأخطاء أو الذنوب السابقة بل أنه حقق الحب والخوف والذل ومتبع للنبي ﷺ ومستمر على ذلك منذ أعوام وأعوام فهو على الطاعة، هذا الشخص يسأل ماذا يفعل حتى يثبت على أمره هذا فهو يسأل خشية أن يتراجع في يوم من الأيام؟ وهل هذا الرجوع وارد؟

بالفعل هذا الرجوع وارد أن يقع، لقد كان دعاء الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35)﴾ [إبراهيم]

إبراهيم عليه السلام يدعو بهذا الدعاء وهو الخليل ومن أُولي العزم من الرسل والذي جاء الكثير من الأنبياء من نسله وكل الخير كان على يديه وبالرغم من ذلك كان يخشى على نفسه أن يأتي عليه يوم فيعبد الأصنام، فكيف بنا نحن؟ ولذلك فقد كان أكثر دعاء النبي ﷺ

ـ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» الأدب المفرد(683) [قال الشيخ الألباني] : صحيح.

وإذا كان النبي ﷺ يدعو بهذا فبماذا ندعوا أنا وأنتم؟

فإذا كان هذا هو دعاء النبي ﷺ بعدما وصل إلى المنزلة التي لا تُدانيها منزلة فلا يزعم شخص أنه حقق العبودية ولا يقع في الذنوب ولا يفعل ولا يفعل فكيف لي أن أتراجع أو أن انتكس؟

نحن لدينا ثلاثة أنواع من الناس في محبتهم لله سبحانه كما سبق التوضيح في الحلقة السابقة،

1- فريق أعرض بالكلية.

2- فريق يُحاول أن يصل(ضعف في المحبة) تحقيق الحب والخوف.

3- فريق بالفعل حقق الخوف والحب والتزم بأوامر النبي ﷺ وترك المنَّ.

وهذا هو السائر في طريق العلم والدعوة وظل على سيره هذا فترة من الزمن.

فهل هذا الفريق الأخير مُعرَّض أيضًا للانتكاس وينبغي أن يخاف على نفسه؟

- طبعًا: ينبغي أن يخاف هؤلاء أيضًا على أنفسهم، فإذا قيل من أحدهم أنني ليس لدي أي خلل؟

الرد: الله أعلم بالقلوب فقد تضعف النفس فتسقط في معصية وهي لا تشعُر ، فماذا علينا أن نفعل؟

علينا دائمًا أن ندعوا بما كان يدعو به نبينا ﷺ «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

- وكان يقول أيضًا :

عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» أخرجه مسلم(2654)

- وقال أيضًا:

_كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا، وَاخْلُفْنَا فِي أَهْلِنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَمِنْ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالْمَالِ.

سنن الترمذي(3439) [حكم الألباني] : صحيح.

- الحور : الانفكاك والانحلال.

- الكور : أي التكوير، مأخوذ من كور العمامة.

يُقَالُ: إِنَّمَا هُوَ الرُّجُوعُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ، أَوْ مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى المَعْصِيَةِ، إِنَّمَا يَعْنِي الرُّجُوعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّرِّ.

- لقد كان النبي ﷺ يستعيذ من كل هذه الأمور، فحريٌ بمَن هم دونه أن لا يطمأنوا هكذا ولا أن يأمنوا،

لماذا أراد الله عز وجل بعباده أن لا يطمأنوا وأن لا يأمنوا لهذا الأمر؟

نعود مرة أُخرى إلى ما سبق قوله حتى تتحقق العبودية(الحب والخوف)

فالمُحب فقط المُطمأن لطاعته لن يكون لديه خوف، وحتى يكون الإنسان عبدًا لله فلابد من تحقيق الخوف، فالخليل إبراهيم خاف على نفسه، وكذا نبينا ﷺ خاف على نفسه وصحابته خافوا على أنفسهم ورأينا كيف كانت عائشة تخاف من الآخرة ومن لقاء الله سبحانه، فالخوف أحد ركني العبادة وبالتالي لا تصح إلا به فإذا سقط سقطت هي الأخرى.

- إذن نحن نحتاج إلى الدعاء ومنه (ما ورد في السنة).

ومنه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» أخرجه مسلم(486).

- قال النووي: قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى:

في هذا معنى لطيف وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاك من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضاء والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار إلى ذكر مالا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه (لا أحصي ثناء عليك) أي لا أطيقه ولا آتي عليه وقيل لا أحيط به.

- **وقال مالك رحمه الله تعالى:** معناه لا أحصى نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك (أنت كما أثنيت على نفسك) اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء

إلى الجملة دون التفصيل والإحصاء والتعيين فوكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثني عليه وكل ثناء أثني به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم مع أنه متعال عن القدر وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ].

_استدل العلماء بهذا الحديث على أن أسماء الله سبحانه ليست محصورة بعدد.

_وكما أننا نحتاج إلى الدعاء فإننا نحتاج أيضًا إلى تعلَّم أدب الدعاء وكيف ندعوه سبحانه بالدعاء فيكون مستجابًا.

– ثانيها: المحاسبة.

_فمن أراد أن يثبت على طريق الخير والحق فعليه ينتبه لمسألة هامة قد يُفرِّط فيها الكثير ألا **وهي: المحاسبة.**

فهي أكثر سبيل يمكن به أن يصل العبد إلى الاستقامة لأن المحاسبة تُورث العبد مراقبة الله، والمراقبة تعني الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

– إذن: ابتداءً لابد أن نُحاسب أنفسنا فنظل نبحث عن الدافع الذي يقود إلى فعلٍ ما(حضور درس علم_إخراج صدقة_وهكذا) فإن لم توجد النية الطيبة فعلينا بتجديد النوايا، فنسأل أنفسنا في كل عمل هل هو لله فإن كان لله فعلينا أن نمضي وإن كان لغير ذلك فلنتوقف هذا فيما يخص الأعمال الصالحة، أما في حال المعاصي فعلينا أن نتوقف عند إرادة المعصية ومحاسبة النفس على تلك المعاصي وإذا وقعت النفس في المعصية فعليها بالتوبة والاستغفار والندم.

والاستغفار مشروط بشرط: أن لا يكون استغفار الكاذبين، الذين يستغفرون ثم سرعان ما يعودون للوقوع في الذنب مرة أخرى(فهذا لم يتب ولم ينوِ التوبة)فاستغفاره جاء باللسان وإذا ما تكرر نفس الموقف فإنه يقع في نفس المعصية، فهل هذا استغفار؟

- المستغفر: لابد أن يستغفر بصدق وبجدية وبعزم على عدم العودة.

- ثالثها: العلم بمداخل الشيطان.

كيف حدث الوقوع؟ وفي أي جُزئية حدث الخلل فتبعه السقوط؟

_فشخص يسير على طريق الاستقامة حدث له انتكاس (لم يصل إلى مرحلة الانتكاس الكامل)فقد يكون منتكس باطنيًا ولكنه في الظاهر لم ينتكس بعد، فعليه أن يسأل نفسه ما هو السبب؟

_لابد أن يعرف مداخل الشيطان، وكلما كان لديه علم فإنه سيسهُل عليه معرفة مداخل الشيطان.

- مثال:

لقد نهى النبي ﷺ عن الاختلاط (الرجال بالنساء) وهو إشكالية من أخطر ما يكون إذا وقعت، فالأمر يُبرره الشيطان في أول حديث يدور بين الرجل والمرأة فالنية خير قد يكون(سؤال أحد الدُعاة عن أمرٍ ما_زميل في الجامعة_مدير في العمل) ثم تتوالى الأحاديث والاتصالات ويميل القلب لأنه في غفلة والطريق مفتوح والرجال شديدي الذكاء فهم يفهمون المرأة من نبرة صوتها فيعرفون إذا كانت ستستجيب أم لا، فالبداية كانت خطأ لأن المرأة لم تُغلق الباب (فلا يجوز اتصال النساء بالرجال إلا لضرورة) ولكنها فتحته ومرة بعد مرة حدث ما لا يُحمد عقباه، والمشاكل التي تحدث من جراء هذا الاختلاط كثيرة جدًا.

- **الشاهد:** أنه لابد من تعلُّم مداخل الشيطان لأنه لا يوجد من هو معصوم من الوقوع في الزلل أو من هو كبير عن الوقوع في المعاصي.

- فمن أين نعلم مداخل الشيطان؟

أي معصية هي مدخل للشيطان لأنه لا يأمر بخير، أحيانًا يأمر بخير فإذا ما أمر به فإنه يريد به شرًا ولا شك، فيفتح للإنسان أبوابًا للخير ليصل به إلى باب شر وهذا يحتاج إلى علم.

- مثال:

الأخ الذي يدخل على مواقع التواصل الاجتماعي ويرى بعض الأشخاص ممن يقعون في الإلحاد ويخرجون من الدين، يدخل عليه الشيطان من باب إرادة الخير بالناس فيُزين له باب الدخول على هذه المواقع للرد على هؤلاء الشباب أو الأشخاص ومناظرتهم حتى يرجعهم إلى حظيرة الإسلام، الظاهر هو الخير ولكنه أراد إخراجه هو الأخر من الدين وقد يحدث هذا بالفعل لأنه لا يمتلك العلم الذي يُناظر به هؤلاء فيلقون عليه بعض الشبهات(ملحدين_نصارى) فيميل القلب أو يُضرب،

_العلم بمداخل الشيطان يجعل الإنسان يُغلق على نفسه الباب إذا ما أمره بمعصية، فإذا منع نفسه من ارتكاب المعصية فعليه أن يُسارع إلى القيام بطاعة فإذا صَعُبَ عليه القيام بطاعة فعليه أن يستعن بصحبة صالحة تُعينه في أوقات الضعف تلك على القيام بالطاعات.

رابعها: الصحبة الصالحة.

لا بديل عن الصحبة الصالحة لأن الإنسان إذا وقف بمفرده فإنه لا يستطيع مقاومة التيار والنفوس ضعيفة والضعف في النساء أكثر، فإذا كان الرجال يسقطون فمن باب أولى يكون سقوط النساء أسهل.

- وانتبهوا: لأمر الله عز وجل الذي أمر به نبيه ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)﴾[الكهف]

_فأمره بالصبر مع الذين يدعون ربهم استمرار.

- نصيحة:

إياكم أن تُصاحبوا مَن هو أعلى منكم في الدنيا فيفتنكم، لإن النفوس ضعيفة ولن تتحمل لأن المعاينة للأحوال تؤدي إلى الضغط، فمَن يُصاحب مَن هو أعلى منه قد يُردد في أول الأمر.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4)﴾[الجمعة]

ولكن شيئًا فشيء يبدأ القلب في الميل، فإذا مال القلب وتعلَّق بالدنيا فإنه يبدأ في الدخول في مقارنات (لماذا أنعم الله عليه وأنا لا) فيقع في الحسد وقد يصل إلى مرحلة أصعب من ذلك وهي أن يبحث عن المال الحرام حتى يصل إلى نفس المستوى، فلا تفتنوا أنفسكم ولا تستشرفوا الفتن ولا تنظرون إلى أصحاب الأموال واعلموا أنه من أعظم النعم التي يمن الله بها على العبد أن يجعله يعيش مستورًا،

عن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ عَلَيَّ ثِيَابِي وَسِلَاحِي، ثُمَّ آتِيهِ، فَفَعَلْتُ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ إِلَيَّ الْبَصَرَ ثُمَّ طَأْطَأَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُغْنِمُكَ اللَّهُ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ صَالِحَةً» ، قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أُسْلِمْ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، إِنَّمَا أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ فَأَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»

الأدب المفرد(299)[قال الشيخ الألباني] : صحيح.

- العبد الصالح الذي يستطيع أن يمسك على دينه في زمن طغت فيه الماديات، هذا العبد نادرًا ما يوجد، فأكبر نعمة هي أن يعيش العبد مستورًا، فلا تنظروا إلى أصحاب الأموال فأعداد الفقراء الذين يُفتنون قِلة قليلة جدًا بالنسبة للأغنياء الذين يُفتنون لماذا؟ لأن الدنيا بالنسبة لهؤلاء متاحة وكل شيء مُيسر، أما الفقير أو المستور فلا شيء عنده وبالتالي فمجال الفتن بالنسبة له محدود، هذا الإنسان البسيط لا يعلم أن الله عز وجل قد أكرمه ودفع ومنع عنه الدنيا وحجبها لأنه يُحبه فأراد أن يتفضل عليه بمنع تلك الفتن عنه،

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ» مسند أحمد(23627)، المستدرك على الصحيحين للحاكم(7465)

خامسًا: كثرة ذكر الموت.

فمن الوسائل التي تُساعد الإنسان على الثبات كثرة ذكر الموت، فإدراك قِصر الحياة وإمكانية زوالها بين لحظة وأخرى يدفع إلى الانتباه وترك الغفلة.

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34)﴾[الأعراف]

فقد يأتي الموت فجأة فيكون في لحظة تُرتكب فيها المعاصي فلا أحد يدري متى الساعة التي تأتيه فيها المنية فيلقى الله سبحانه وتعالى فإما على طاعة وإما على معصية،

فكثرة ذكر الموت واستحضار تلك اللحظات وما سيكون فيها من رهبة وخوف ومشاهدة ملك الموت وأن العبد يُكفن في قطعة من القماش ثم يُلقى به في قبره فيُغلق عليه حيث لا يجد إلا الظلمة والوحشة وفي ظلمة القبر تلك لو أنه استحضر كل نعيم الدنيا فماذا يُساوي؟ فالقبر مظلم والملكان يسألانه عن (الرب_النبي ﷺ _الدين) ولم يعرف الإجابة لأنه كان في غفلة ولهو في الدنيا.

إذن لابد من استحضار هذه المشاهد ومعرفة أنه من أسباب الثبات على الحق كثرة ذكر الموت حتى لا يتعلق القلب بالدنيا التي مصيرها إلى الزوال حتى لو طال بالعبد المقام فيها.

سادسًا: الشُكر.

إن الله عز وجل يُحب العبد الشكور، ومَن أحبه الله لن يضره ولن ينتكس، والشكر قيد المزيد، فمَن أراد الزيادة في أي شيء فعليه بالشكر، فأي نعمة يريدها الإنسان أن تُقيَّد فلا تتركه أبدًا فعليه بشكرها.

(الصحة _المال_ الأولاد_وهكذا) فكلما شكرنا النعمة كلما زادنا الله منها فهذا هو موعوده سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)﴾[إبراهيم]

- فكيف يكون الشكر؟

يكون بالجنان وباللسان وبالأركان،

- فشكر القلب: تعبيده للرب ولو عَبَدَ القلب الرب لذكره في كل وقتٍ وحين وما حدثت له غفلة قط، والقلب إذا تعبد للرب فإنه يتبرأ من الحول والقوة، ويعلم أنه لا حول له ولا قوة فيما دخله من إيمان،

_فالقلب ملئ بالإيمان ولكنه مُتبرئ من حوله وقوته، لأنه يعلم أن هذا الإيمان الذي ملأه ليس له فيه فضل ولكن الرب هو الذي أدخله فيه والفضل كله يرجع إلى الله،

_فالقلب عابد لله ذاكر لنعمه شاكر لها، قلب معبد لله متبرئ من حوله وقوته هذا القلب شاكر لله فلا تدخله الأمراض ولكن تدخله أعمال القلوب، ولو أن القلب شكر لظهر هذا على اللسان

_شكر اللسان: فيلهج اللسان بأنواع الذكر المختلفة لله عز وجل وأعلاها تلاوة القرآن ثم يأتي شكر بالأركان

_شكر الأركان:(أجزاء البدن) أي الصلاة والصيام وهكذا

_فكل طاعة يقوم بها العبد وكل نعمة يتقلب فيها الإنسان عليه أن يتذكر أن ما هو فيه يرجع إلى فضل الله عليه فيشكر بقلبه قبل لسانه وهنا تثبت النعمة

_فلا يزال العبد يتذكر النعم ويشكر ويتذكر النعم ويعمل حتى يعلو في الدرجات العُلا، وهذا فيه الأمان من الانتكاس، ومن أعظم وسائل الثبات شكر النعم

_كما أن من أعظم ما يُبتلى به الإنسان وأكثر ما يضرب القلب ويسبب الانتكاس (غفلة القلب) فيغفل عن ما خُلق من أجله وعن طاعة الله وعن أوامره وأسمائه وصفاته

قال عزَّ وجل: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1)﴾[الأنبياء]

_فالغفلة تؤدي إلى الإعراض والتكذيب، والإعراض يُولد التشكيك، إلى أن ينتهي الأمر بالإنسان إلى الخروج من الملة أو حتى إلى النفاق.

سابعًا: العلم والعمل.

فإذا لم يُصاحب العلم العمل فإنه يكون علمٌ غير نافع وهذا الذي كان يستعيذ منه النبي ﷺ

_عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ، الْقَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» أخرجه مسلم(2722).

- **يقول الإمام أحمد: أصل العلم الخشية.**
- **قال سفيان رحمه الله:** ليس العلم بكثرة الرواية ولا الدراية إنما العلم الخشية.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾[العصر].

- العصر: اسم يُشير إلى الزمن بصورة عامة
- إن الإنسان لفي خسر: كل العباد في خُسر
- إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا: ثم استثنى هؤلاء

- آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: وبالرغم من شمول الإيمان للعمل إلا أنه ذكره وعطف الخاص على العام فيه دلالة على أهمية الخاص وهو العمل

- الواو: هي واو العطف تقتضي المشاركة في الحكم

- وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ: أي الطاعات

- وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ: عن المعصية وعلى الابتلاء وعلى أقدار الله .

تلك كانت بعض الوسائل التي تُعين العبد على الثبات وبقي القول بأن المُوفق هو مَن وفقه الله ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88)﴾

قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (53)﴾[النحل]

كل هذه أسباب يجب أن نأخذ بها مع اليقين على أن الأمر كله بيدي الله فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء، فنسأل الله أن يصرف قلوبنا إلى دينه وطاعته وأن لا يفتنا وإن أراد بنا فتنة أن يقبضنا إليه غير مفتونين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك